كان لهم من يهود بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين **أتريدون**
أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يعني أتريدون أيها المصدقون من الكفار أولياء أن تجعلوا لله عليكم
حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين محل المنافقين
من النار فقال تعالى **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار
سبع دركات بعضها فوق بعض سمي طبقاتها دركات لأنها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت
مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فإن
قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأن المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو أنه ضم
إلى كفره نوعا آخر أشد من الكفر وأخبث منه وهو أنه استهزأ بالإسلام والمسلمين وأيضا أمور
أمور المسلمين ونقلها إلى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والنفاق
من الظهر الإيمان وإبطان الكفر وقيل هو الذي يجمع الإسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا
يدخل تحت أحكامه وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن
خان فإن هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى **ولن تجد لهم نصيرا**
يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل
من تاب من المنافقين فقال تعالى **إلا الذين تابوا** يعني من النفاق **وأصلحوا** يعني أصلحوا الأعمال فعملوا
بما أمر الله وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه **واعتصموا بالله** يعني وتمسكوا بعهد الله
ووثقوا به **وأخلصوا دينهم لله** يعني وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي عملوها لله وأرادوا به وجهه
ولم يريدوا به رياء ولا سمعة فهذه الأمور الأربعة إذا حصلت فقد كمل الإيمان ولذلك قال تعالى **فأولئك**
يعني التائبين من النفاق **مع المؤمنين** يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من أي من المؤمنين **وسوف
يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما** يعني في الآخرة قوله تعالى **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم**
هذا استفهام تقرير معناه أنه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فإن تعذيبه لا يزيد في ملكه وترك عقوبته
لا ينقص من سلطانه لأنه الغني الذي لا يحتاج إلى شيء من ذلك فإن عاقب أحدا فإنما يعاقب لأمر أوجبه
العدل والحكمة فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه
تقديم وتأخير تقديره إن آمنتم وشكرتم لأن الإيمان مقدم على سائر الطاعات ولأن الشكر لا ينفع مع
عدم الإيمان وإن الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى أن العاقل ينظر بعين بصيرته أولا إلى ما
عليه من النعمة في إيجاده وخلقه فيشكره على ذلك شكرا مبهما ثم إذا تمم النظر تأملا انتهى
به النظر إلى معرفة المنعم عليه آمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على
الإيمان في الذكر **وكان الله شاكرا** يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من
الله هو الرضى بالقليل من أعمال عباده وإضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا
على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر **عليما** يعني بحق
شكركم وإيمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من
ظلم** قال أهل المعاني يعني أنه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر أيضا من القول القبيح من
القول القبيح إلا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى إلا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه
ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز إظهار أحوال الناس المستورة
المكتومة لأن ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم يجوز
له إظهار ظلمه فيقول سرق مني أو غصبني ونحو ذلك وإن شتمه جاز أن يشتمه بمثله ولا يزيد شيئا
على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا

فعلى الأول

سما

حرب

المتسابان

56

فعلى الأول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب
الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فإنه قد رخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله إلا من
ظلم وإن صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم
أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بينه وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في
الضيف إذا نزل بقوم ولم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فيخرج من عندهم فيقول أساؤوا ضيافتي وقال مقاتل
نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أن رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر
مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له
شيئا حتى إذا رددت عليه قمت فقال إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء
الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية **وكان الله سميعا** يعني لدعاء المظلوم **عليما** بما في قلبه
فليتق الله ولا يقل إلا الحق قوله تعالى **إن تبدوا خيرا** قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة
والضيافة والصلة وقيل معناه أن تبدوا خيرا بدلا من السوء **أو تخفوه** يعني تخفوا الخير فلم تظهروه
وقيل معناه إن تبدوا حسنة فتعملوا بها كتبت لكم عشرا وإن هممتم بها ولم تعملوها كتبت لكم واحدة وقيل
إن جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق
فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا وهما إيصال النفع في السر والعلانية وإليه الإشارة بقوله
تعالى **أو تعفوا عن سوء** فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير
المال والمعنى إن تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة **فإن الله
كان عفوا قديرا** يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله
عز وجل يعفو عنكم يوم القيامة لأن أهل العفو أولى بالعفو عنهم وقيل معناه إن الله كان عفوا لمن عفا
قديرا على إيصال الثواب إليه قوله عز وجل **إن الذين يكفرون بالله ورسله** نزلت في اليهود وذلك أنهم
آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود
والنصارى جميعا وذلك أن اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين **ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض** يعني ويريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله وبين الإيمان برسله ولا يصح الإيمان بالله مع
التكذيب ببعض رسله **ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا** يعني بين الإيمان بالبعض دون البعض
ويتخذون مذهبا يذهبون إليه ودينا يدينون به **أولئك** يعني من هذه صفته **هم الكافرون حقا**
يعني يقينا وإنما قال أولئك هم الكافرون حقا لئلا يتوهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم
الكفر عنهم وليعلم أن الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بجميعهم لأن الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة
لزم منه أنه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الأنبياء فلزم الإيمان
بجميعهم **وأعتدنا** أي وهيأنا **للكافرين عذابا مهينا** يعني يهانون فيه **والذين آمنوا بالله
ورسله** يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع الأنبياء وأن جميع ما جاؤوا به من عند الله
حق وصدق **ولم يفرقوا بين أحد منهم** يعني من الرسل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون **أولئك** يعني
من هذه صفته **سوف نؤتيهم أجورهم** يعني جزاء إيمانهم بالله وجميع كتبه ورسله **وكان الله
غفورا رحيما** يعني أنه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أن يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم
وهو كالترغيب لليهود والنصارى في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم إذا آمنوا غفر لهم ما كان
منهم في حال الكفر قوله تعالى **يسألك أهل الكتاب** يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود
وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت
نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)